إنه المكان الذي يحتضن الموت لا الحياة، بل المكان الذي يتحوّل فيه الناس الى قطيع، ويرسل الذين يطلبون الحياة عبر الثورة عليه الى الموت (البناء المهدّم والحائط) وهو المكان الذي انوجد على عجلٍ لجمع شتات حشد هائل من بشر هائمين على وجوههم بلا مأوى، انه محض مأوى (بيوت الطين والتنك والأسطح الواطئة) لا تتوفر له أدنى شروط الحياة الانسانية (الممرات الضيقة والنفايات، وما سبق)، وهـو المكان الذي انوجد فيه مركز للاعاشة، ليقدم فتات الطعام. ومخبز، لتوفير الرغيف، كي يأكل الناس، قليلاً، ليظلوا على قيد حياة انتظار كثير وطويل، دون عمل ودون مستقبل، ودون سؤال. وهو المكان الذي اجترح لنفسه مدرسة هي خيمة، محض خيمة. ومقهى هو في حضوره، وفي ارتباطه بالنتن الخـائن زكريا ليس يحمل غير دلالة سلبية، أخلاقياً ووطنياً. إنه المكان الذي يكثّف دلالته المخيم بوصفه مكاناً لتزجية وقت بلا وقت، في خضوع مهين للضرورات القاهرة، واتكاء عاجز على حوائط الانتظار. بايجاز: ليس المخيم سوى سديم غامض يخيم فوق حشد لمّا يعرف كيف يكون حشداً، إنه التجسيد الواقعي لسديم المنفى الذي لا يولّد لدى المبحر فيه غير الشعور المر بالاقتلاع، وبالعراء المطلق في مواجهة عالم غادرته الرحمة، فهل يقود هذا الشعور الى العدم؟ أم يقود الى اجتراح معجزة الفعل؟[٤٧] إنه أمر متروك الى الوعي الانساني، الفردي والجماعي، وتحولاته، هذا هو ما تقوله الرواية الكنفانية، وما سنعود اليه في سياق تعرفنا على تحولات الدلالة وتباين المدلولات الخاصة بالمخيم.

تلك هي بنية غزة، التي تبدت في الرواية كبنية للغياب، تنطوي في مدلولها على ثبات عميق وغرق في عادية الليل، وتلك هي بنية المخيم الذي تحتضنه مدينة تنطوي على سكونها وتوغل في الظلام، إنها بنية المتاهة، بنية الولوج في سديم ليل بلا نهار، أو نهار ليس كالنهارات، بنية الزمن الضائع، والمكان الضـائع، والحضور الكثيف لشراسة المنفى وقسوة الاقتلاع، إنها بنية موت ليست كالموت، وحياة ليست كالحياة، وهما يخيّمان بوطأتهما العاتية ويغشيان وجدانات بشر اقتلعوا من وطنهم؛ من مدنهم، وقـراهم وبيـوتهم، وقذفوا الى عراء نبتت فيه بيوت طين وتنك، وأسقف واطئة، فصارت «معسكراً» وصاروا: لاجئين... فماذا عن هذه البيوت؟ وماذا عن ساكنيها؟

تقـدم «ما تبقى لكم» بيتاً ليس كالبيوت، لأنه البيت الذي فيه تتكثف المأساة، فيكون هو كل البيوت، فماذا عنه؟ كيف يرتسم في الرواية، كيف ينبثق ويتشكّل في بنية دالة وما هي مدلولات هذه البنية؟ هذا ما سنذهب الآن الى محاولة الاجابة عنه.

البيت: قبر... ونعوش وموتى

لا تقدم «ما تبقى لكم» أي وصف للشكل الخارجي، الهندسي، للبيت، فنذهب الى الاعتقاد بأنه لا يتميز عن البيوت الاخرى التي هي بيوت طين وتنك ذات أسقف واطئة، غير أن هذا الاعتقاد الذي نختزنه في الذاكرة ثم ننساه مع لهفة تتبعنا للأحداث في سياق قراءة أفقية، للنص، قد لا يظل على حاله لو تعمدنا نوعاً من القراءة الرأسية، العامودية، كالتي نحاولها الآن، ذلك لأن هذا النوع من القراءة هو وحده القادر على اكتشاف النص، والتعرف على بنياته الدالة ومدلولاتها، ولقد أعطت هذه القراءة استنتاجاً مؤداه ان المكونات الداخلية للبيت كبنية هندسية لا تتساوق مع الاعتقاد بأنه بيت طين أو تنك،واطىء السقف، فالاشارات المتكررة، والتي ينثرها السرد الروائي، هنا وهناك، حسب مقتضيات الحدث وتطوراته، وحركة الشخصيات داخل البيت الذي هو مكان للحدث الذي يتوازى ويتقاطع مع حدث آخـر يقع في الصحراء، كما سبق القول، هذه الاشارات تدل على أننا بإزاء بيت مغاير لتلك البيـوت. فلنـذهب، إذن، لقـراءة الاشـارات، متـوخـين الكشف عن آليـات انبثـاقهـا، وصلتهـا